

مقدّمة

يثمّن هذا الكتاب جانبا مهما من النشاطات العلميّة لمشروع التعاون الجزائري- التونسي (2014-2018) الذي اعتنى بدراسة الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية وتحليل رهاناتها في كلا البلدين وفق مقارنة سوسو-أنثروبولوجية مقارنة، وتندرج إشكالية هذا المشروع المغربي ضمن سياق النقاشات المتواصلة حول « الشباب » باعتباره يمثل مشكلا اجتماعيا بنيويا في الجزائر (مجاهدي، 2012 ; Benhaddad & al., 2019) وفي تونس (Bousnina, 2013)، ومرتبطة بالعديد من مظاهر الهشاشة المهنية والاجتماعية (محمد علي بن زينة وآخرون، 2018).

تمثّل إشكالية الإدماج المهني والولوج إلى عالم الشغل (Dubar, 2001) في المنطقة المغربية محطة هامة لمقاربة واقع المؤسسات الاجتماعية (العائلة، المدرسة، الشغل) المؤثرة في سيرورة بناء الدولة وتشكّل المواطنة انطلاقا من مبدأ « الحق في الشغل »، فهذا الحق إضافة لكونه يمثل أحد ركائز المسألة الاجتماعية على حسب تعبير روبرت كاستل وأحد مقومات الانتساب إلى منظومات الحماية، تشكّل ندرته أو صعوبة الحصول عليه أحد المظاهر البيّنة لمجتمع المخاطر (Castel, 2009)، خصوصا عندما لا تجد الدولة-الاجتماعية الامكانيات اللازمة للاستجابة لتضخّم المطالب الاجتماعية (Catusse et al., 2008).

وفي هذا السياق، تشكّل معدّلات البطالة في المنطقة المغربية، وخصوصا لدى فئة حاملي الشهادات الجامعية، تحديًا رئيسًا لجلّ السياسات العمومية المطالبة بالرفع من تشغيلية الشباب وخصوصا فئة حاملي الشهادات (التحدي الأول)، ومواجهة

الدينامكية المتسارعة للتشغيل في القطاع غير الرسمي والذي لا ينتج الشغل اللائق (التحدي الثاني)، وتحسين نوعية الشغل (التحدي الثالث) (Musette, 2012).

سبق لهيئات الدولية وتقارير السياسات العمومية أن أشارت إلى تعاظم إشكالية البطالة في المنطقة المغربية وفي الشرق الأوسط، كما اعتبرت أنّ هذه الظاهرة السوسيو-ديمغرافية تعتبر عاملا مهددا للسلم الاجتماعي يكشف عن محدودية العقد الاجتماعي السابق، خصوصا في ظل جمهرة التعليم وتقلص فرص استحداث الشغل وأزمة النموذج الخطي الذي ربط سابقا بين التكوين والتشغيل.

يتناول هذا الكتاب عرضا حول ظاهرتين مترابطتين ومتلازمتين هما إشكالية الإدماج السوسيو-مهني لخريجي الجامعات في الجزائر وفي تونس، ومسألة البطالة وخصوصياتها في البلدين، ويعود اختيارهما والتركيز عليهما لتواصل راهنيتها وحساسية ذلك في المنطقة المغربية.

ينقسم هذا الكتاب الذي يستند في مضامينه على نتائج جملة من التحقيقات الميدانية إلى ثلاثة فصول متكاملة تطرح للنقاش مسائل مرتبطة بـ:

1- الإدماج المهني والبطالة : التساؤلات

2- الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية في الجزائر

3- الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية في تونس

تعالج الأوراق البحثية الأربعة المدرجة ضمن الفصل الأول من هذا الكتاب إشكالية البطالة وخصائصها وأسباب تطورها ومظاهر اخفاق السياسات العمومية في علاجها، وتعتمد في ذلك على معطيات ميدانية غايتها « إثراء » سوسيولوجيا البطالة في المنطقة المغربية، والتي لا تزال تعاني ضعفا إستيمولوجيا في مقاربتها لمسائل الإدماج المهني في السياقات الثقافية المحلية.

يقدم عمر دزاس في مستهل هذا الفصل ورقة بحثية حول السمات الأساسية لسوق العمل والعاطلين في الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين 1970 و2017، ويعتمد صاحب المقال في ذلك على معطيات الديوان الوطني للإحصاء بالجزائر، بحيث يبيّن الاختلالات بنيوية الموجودة بين منظومتي التعليم/ التكوين والشغل من جهة، وكذا الاختلالات

الداخلية للبرامج التكوينية في علاقاتها بسوق العمل، كما يعود إلى المحطّات الكبرى التي أثمرت في ذلك خصوصا خلال فترة تسعينيات القرن الماضي التي شهدت تطبيق سياسات الإصلاح الهيكلي (1994-1998).

أمّا المساهمة الثانية التي يقترحها العروسي عامري والموسومة «الإدماج المهني: المشاكل والحلول والبدائل» فتناقش إستمولوجيا بوادر إشكالية الإدماج المهني في العلوم الاجتماعية، وبخاصة في علم الاجتماع في ظل تنامي ظاهرتي البطالة البنيوية وأشكال الشغل الهش لدى الشباب، كما يستعرض بالتفصيل الكرونولوجي العلاقات بين منظومتي التكوين والتشغيل في البلدان المغاربية والتي مرّت بثلاثة مراحل هي: مرحلة الاقتران الناجح الموافق للسنوات الأولى للاستقلال في البلدان المغاربية (1956-1985)، تليها مرحلة ساعة الحقيقة (1985-1995) المترافقة مع الإصلاحات النيولبرالية التي عرفتها المنطقة المغاربية، ثمّ المرحلة الحالية التي يميّزها معاقبة النخب الطلابية (1995-2018).

أمّا المساهمة الثالثة فيناقش ضمنها كل من نصر الدين حمودة ورزيقة مجّوب تطوّر البطالة لدى حاملي الشهادات الجامعية بعد أزمة النفط الموافقة لسنتي 1986 و2014، وانعكاساتها على تباين فرص التشغيل بين الجنسين وتمايزهما اجتماعيا، خصوصا وأن البطالة تمسّ بالدرجة الأولى حاملات الشهادات الجامعية مقارنة بنظرائهم الذكور. ويعتمد صاحبا المقال في تحاليلهما للطابع المزمّن للبطالة وبنيويتها على إحصائيات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر في الفترات التالية: 1964-1963، 2012-2013، وكذا معطيات الديوان الوطني للإحصاء المتعلقة بالفترة الممتدة ما بين 1989 إلى 2014 وأرقام الوكالة الوطنية للشغل لسنتي 2013-2014.

أمّا المساهمة الرابعة في هذا الفصل فمقترحة من طرف زميلنا المرحوم محمد ماضوي (فارقتا في يوم 26 نوفمبر 2016)، إذ يتناول بالتحليل حالة البطالين من وجهة نظر اجتماعية- نفسية، ويشرح من خلالها المعاناة النفسية والاجتماعية التي تلاحقهم في حياتهم اليومية، والتي تتجلى مظاهرها في الإحباط والشعور بالخجل المترافق مع حالة غياب الهوية المهنية.

ويعالج الفصل الثاني من هذا الكتاب أساسا مخرجات التحقيق الميداني¹ المتعلق بمشروع البحث الموسوم « الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية بوهران »، ويستعرض ذلك من خلال أربعة أوراق بحثية.

يعود عمر درّاس في مستهل هذا الفصل لمفهوم الإدماج المهني، إذ يقدم قراءة نظريّة ونقدية لسوسيولوجيا المفهوم، كما يناقش أهمّ الأطروحات والمقاربات التي عالجتة وقاربت أبعاده الإجرائية ورافقت اهتمام الباحثين به، وقد مثل هذا العمل النظري الذي أشرف عليه الباحث أرضية هامة لتحضير التحقيق الميداني الكمي والكيفي حول « الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية بوهران ».

أمّا الإسهام الثاني في هذا الفصل (تقرير حول بحث ميداني) فيستعرض فيه فؤاد نوار وعمر دراس ومحمد عرقوب بالتحليل إلى انتقائية سوق الشغل التي يواجهها حاملو الشهادات الجامعية انطلاقا من دراسة ميدانية أشرف عليها فريق البحث ومست 800 وحدة سكنية وشملت 840 شريكا للبحث (مبحوثا)، إذ يقدم الباحثون المعدّون لهذا التقرير الخصائص السوسيو-مهنية لحاملي الشهادات الجامعية الذين شملهم التحقيق في الفترة المذكورة أعلاه، كما يناقشون بعض مظاهر تأثير الانتقائية على سيرورة الإدماج المهني وعلى تراتبية الشهادات الجامعية من حيث قيمتها التشغيلية بعد التخرّج من الجامعة، وكذلك الآليات المتحكّمة في سيرورات الإدماج ومسارها بناء على الأبعاد الإجرائية لانتقائية سوق الشغل والتي تخضع لتأثير أربعة متغيّرات سوسيولوجية تتمثل في: « الشهادة الجامعية »، « قطاع التشغيل »، « النوع الاجتماعي » و« الأصل الاجتماعي ».

¹ أنجز التحقيق الميداني فريق البحث المكوّن من عمر دراس (رئيس المشروع)، نوار فؤاد، زين الشرف لوسداد، هند بوعقادة، عرقوب محمد، ميلود لحر. تكفل كل من فؤاد نوار وعمر دراس بتحليل النتائج العامة للتحقيق وتحرير التقرير النهائي حوله، كما تكفل كل من محمد عرقوب بمحور البحث: الاختلالات الجندرية للإدماج، ولوسداد زين الشرف بمحور البحث: الإدماج عن طريق المقاولاتية، وميلود لحر بمحور البحث: الإدماج المهني عند الأطباء، وهند بوعقادة بمحور البحث: صعوبات الإدماج المهني عن المهندسين). قدّمت النتائج النهائية خلال الندوة الموسومة « تمثالات العمل، السياسات العمومية للتشغيل، والإدماج المهني للشباب في البلدان المغاربية » المنظمة من طرف مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالشراكة مع كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة تونس يومي 9 و10 ماي 2017 بوهران. هذه الندوة كانت فرصة أيضا للاستماع لمداخلة نصر الدين حمودة (مدير بحث CREAD) حول تطوّر بطالة حاملي الشهادات الجامعية.

أما زين الشرف لوسداد، فتهتم ضمن هذا التحقيق الميداني بإشكالية الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية ضمن النشاطات المقاولاتية، إذ تستعرض ورقتها البحثية خصوصيات هذا الشكل من الإدماج وفق متغيرات التخصص العلمي للشهادة وسنة التخرج الجامعي ونوعية النشاطات المستثمر فيها، وتكشف عن مظاهر انتقائية سوق الشغل التي تواجه هذه الفئة والتي تدفعها نحو خوض المغامرة المقاولاتية هروبا من البطالة، في حين تناقش هند بوعقادة ضمن سياق معطيات التحقيق الميداني نفسه إشكالية صعوبات الإدماج المهني لحاملي الشهادات في تخصصات الهندسة ممن تواجدوا في حالة بحث عن الشغل منذ أكثر من أربع سنوات من تخرجهم، كما تثير مسألة تراجع تشغيلية مثل هذه الشهادات بعدما كانت في وقت غير بعيد ذات سمعة تشغيلية معتبرة في سوق العمل.

ويتناول الفصل الثالث من هذا الكتاب المخرجات العلمية لفريق البحث التونسي²، إذ تقدّم الأوراق البحثية الثلاثة المثمّنة لنشاطاته صورة حول الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية في تونس وتمكن القارئ من المقارنة مع نتائج الفصل الثاني. يناقش العروسي عامري في مستهل هذا الفصل إشكالية الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية بتونس بناء على مقارنة متكاملة، إذ يعتمد على معطيات تحقيقات ميدانية كيفية يعيد من خلالها رسم مسارات الإدماج المهني وتتبع معانيه، وتبدو الاختيارات المنهجية المعتمدة واضحة، خصوصا عندما يبيّن الباحث محدودية «الهوس الكمي» الذي طبع النقاشات والوثائق المنتجة حول ظاهرة الإدماج المهني قبل الثورة التونسية سنة 2011، ويقدم في الجزء الثاني من الورقة البحثية نتائج دراسة

² تكوّن فريق البحث التونسي من: عبد الستار سحباني (رئيس المشروع التونسي)، عمري لعروسي، محمد علي بن زينة، سميرة عياد، سميرة ولهاري، فتحي رقيق. تعود فكرة المشروع من الجانب التونسي وراثته الأولى للأستاذ العروسي عامري، وبعد التقاعد تولى عبد الستار سحباني إدارة المشروع. قدّم الفريق التونسي النتائج النهائية للتحقيق خلال الندوة الموسومة «تمثلات العمل، السياسات العمومية للتشغيل، والإدماج المهني للشباب في البلدان المغاربية» المنظمة من طرف مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالشراكة مع كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة تونس يومي 9 و10 ماي 2017 بوهران، بحيث تكفل مكل من حمد علي بن زينة وعبد الستار السحباني بعرض نتائج التحقيق الميداني الكمي للتحقيق الذي أجري في تونس الكبرى، ثم تطرق العروسي عامري لتقديم نتائج تحقيقه الكيفي حول الإدماج المهني لخريجي الجامعة، وقدمت كل سميرة ولهاري وسميرة عياد نتائج تحقيقهما حول النوع الاجتماعي والإدماج المهني.

ميدانية كيفية يستعرض فيها بالتحليل ستة نماذج للإدماج المهني (النجاح النموذجي، بداية النجاح، النجاح الهش، النجاح المختلط، شبه الفشل، الفشل الميؤوس منه).
 أمّا المساهمة الثانية في هذا الفصل فيقترحها عبد الستار السحباني حول الهشاشة وسياقات نشأتها التاريخية في تونس من خلال علاقاتها بالنماذج التنموية المتتابعة، ثم يعالج مسألتي الحقّ في الشغل والتعليم في ظل صرامة الشروط التشغيلية التي يواجهها العاطلون، ويقدم نماذج لاستراتيجيات الفعل الفردية التي يتبعها حاملو الشهادات أثناء بحثهم عن الهروب من مظاهر الهشاشة البنيوية التي تطبع مآلاتهم المهنية بعد التخرج وأشكال احتجاجهم وشعاراته خصوصا بعد الثورة التونسية.

أمّا المساهمة الثالثة في هذا الفصل فتخصّصها سميرة عيادي لمقاربة ظاهرة الإدماج المهني الهش لدى النساء في تونس، إذ تبين ذكورية سوق الشغل في تونس رغم المعدّلات المعتبرة للتشغيل النسوي في هذا البلد مقارنة ببقية الدول المغاربية، ثم تقدم قراءة في التباينات الجندرية التي تميّز ازدواجية سوق الشغل (تمييز أفقي/ تمييز عمودي) والتي لا ترجح كفة النساء أمام فرص الشغل الممكنة، وهذا الوضع ينتج حسب الباحثة حركة اجتماعية لتأنيث الفقر.

عمر درّاس و العروسي عامري

بيليوغرافيا

بن زينة، محمد وآخرون (2018). إنتاج الهامشية : الانقطاع المدرسي والاقصاء الاجتماعي لدى الشباب في المناطق الحدودية التونسية (دراسة حالة غار الدماء). تونس: دار محمد علي الحامي للنشر.

نوار، فؤاد (2020، جويلية-سبتمبر). الإدماج المهني لحاملي الشهادات الجامعية بوهران (الجزائر): انتقائية سوق الشغل المحلي، إنسانيات، (89)، صص. 33-61.

مجاهدي (إشراف) (2021). الشباب في الجزائر. الشغل، التكوين والترفيه. وهران: منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC.

ميزات، محمد صايب (2012). بانوراما سوق العمل بالجزائر: اتجاهات حديثة وتحديات جديدة. إنسانيات، (56-57).

Benghabrit-Remoun, N., & El Aidi, A. (2012). Jeunes et vécu social en situation de crise : retour sur des recherches menées dans l'Algérie des années 90. *Insaniyat*, (55/56), 91-120. Oran : CRASC.

Benghabrit, N. (dir.). (2012). *Quelles formations pour quels emplois en Algérie ?*, Oran : CRASC.

Benhaddad, N.-A., Boucherf, K., Hammoudda, N.-E., & Souaber, H. (2019). *La jeunesse algérienne. Vécu, représentations et aspirations*, Alger : Cread.

Bousnina, A. (2013). *Le chômage des diplômés en Tunisie*, Paris : L'Harmattan.

Bouyacoub, A. (2006). Emploi et croissance en Algérie 1990-2003. Dans M. Musette, & N.- E. Hammouda, (dir.). *La question de l'emploi au Maghreb central* (137-150). Alger : Cread.

Castel, R., (2009). *La montée des incertitudes. Travail, protections et statut de l'individu*, Paris : Seuil

Catusse, M., Destremau, B., Verdier, E. (2009). *L'Etat face aux débordements du social au Maghreb. Formation, travail et protection sociale*. Paris : Karthala/IREMAM

Derras, O. (2014). *Mobilité social en Algérie*, Oran : CRASC.

Derras, O. (2017). *Mobilité social et changements sociaux en Algérie*. Alger : OPU.

Dubar, C. (2001, janvier). La construction sociale de l'insertion professionnelle. *Éducation et société*, (7).

Lamloum, O., Benzina, M.-A. (2015). *les jeunes de Douar Hicher et d'Ettadhamen : une enquête sociologique*. Tunis : Arabesques.

Lassasi, M., Hammouda, N.- E. (2012). « Le fonctionnement du marché du travail en Algérie : population actives et emplois occupées ». *Région et développement*, (35).